ظهر حديثا

الأداة الحكومة للأستاذين ابراهيم مدكور ومريت غالى (دار الفصول للنشر)

هم هذا الكتاب أن يظهر أثناء الحرب ، ولكن الرقابة حالت دون ظهوره كما أراد صاحباه ، فوزع خفية على بعض الخاصة ، ثم هم أن يظهر مرة أخرى قبيل انتهاء الحرب فوقفت منه الرقابة موقفها الأول ، ثم أتيح له الظهور آخر الأمر بعد أن انتهت الحرب وألغيت الأحكام العرفية . وهو كتاب قيم أقل ما يوصف به أنه يضع أدوات الحكم ووسائله كلها موضع النقد المفصل والتشريح الذى لا يريد أن يخفى شيئاً ولا أن يهمل شيئاً . وسخط الناس على وسائل الحكم شائع فى كل وقت ، وهو طبيعى ملائم لحقائق الحياة الواقعة . فالذين يخافون الحكام يسخطون عليهم غاضبين مرة وساخرين مرة أخرى . والذين يحبون الحكام يشفقون عليهم هازلين مرة وجادين مرة أخرى . ولا يمكن أن ترضى أمة حية مثقفة عن وسائل الحكم فيها مهما تكن هذه الوسائل من الدقة والاستقامة والإتقان . فالسآمة علامة النفس الشريفة كما كان يقول قاسم أمين . والسخط دليل على الطموح . والأمة التى لا تسأم ولا تسخط ضئيلة الحظ من الحياة .

من أجل هذا لا نشارك المؤلفين فى تشاؤمهما الشديد حين يذكران أداة الحكم فى مصر . فأداة الحكم عندنا فى حاجة إلى الإصلاح وإلى الإصلاح الكثير العميق ما فى ذلك شك ، ولكنها فى أكثر بلاد الدنيا تحتاج إلى الإصلاح وتتعرض للنقد ، وينالها الإصلاح فى لين مرة وفى عنف أخرى بحكم هذا النقد المتصل والذى يجب أن يتصل . والمؤلفان متشائمان من غير شك وإن كانا ينكران التشاؤم الذى يقدم عليه الشيوخ يأساً وضعفا ، ويقدم عليه الشباب طموحاً وتعجلا للمنفعة . هما متشائمان ، فإذا دل كتابهما على شىء فإنما يدل على أن مصر ليس فيها شىء يعجب أو يروق . فاقتصادها فاسد كل الفساد ، وحياتها الاجتماعية سيئة كل السوء ، ووسائل الحكم فيها لا تغنى شيئاً ،

وقد تضر كثيراً . ومانتكر أن فى هذا كله شيئاً من الحق . وما ننكر أن مصر فى حاجة إلى أن يعاد بناؤها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى . ولكن الأمور فى حاجة إلى أن يؤخذ فيها بغير هذا التشاؤم الذى قد يصور الرغبة فى العمل ولكنه يصور اليأس من العمل أيضاً .

ولو أتيح الحكم للمؤلفين لكان من الممكن جداً أن يكون كتابهما شيئاً وتنفيذهما لما فى هذا الكتاب شيئاً آخر . والشىء الذى ليس فيه شك هو أن المؤلفين الأديبين قد جلسا على النهر ونظرا للسفينة فى وسطه تعصف بها الريح ، ففكرا وقدّرا وأشارا ، ولسنا ندرى أيسمع لهما الملاح أم يضع أصابعه فى أذنيه

وهما بما فكرا وقدرا وأشارا قد فتحا للشباب أبوابا يلجون منها إلى النقد السياسى والإدارى . وهما قد يخطئان وقد يصيبان فى هذا الفصل أو ذاك من فصول الكتاب ، ولكن خطأهما لا يغير شيئاً من إخلاصهما فى النصح وتوخيهما للمصلحة العامة وتوفيقهما الكثير إلى تشخيص الأدواء ، وتوفيقهما أحيانا إلى وصف الدواء . وليس هذا بالشىء القليل . وللفنيين وحدهم أن يناقشوا ما فى الكتاب من رأى . فأما نحن فنقدمه إلى القراء مثنين عليه حاثين على قراءته ، ونتمنى أن يكون المؤلفان فى الحلقتين الباقيتين من هذه السلسلة أحرص على توخى الدقة فى اللفظ وتجنب الإهمال فى الاستعمال . فكتابهما يزيد على ثلاث مئة صفحة وهما يقولان إنه أسطر . وهما ينكران أن يكون الإصلاح الاجتماعى غاية ليثبتا أنه ثمرة . وما نكاد نعرف الفرق بين الغاية والثمرة . وهذا النحو من إرسال الألفاظ فى غير توخٍّ للدقة فى معانيها شائع فى الكتاب شيوعاً شديداً ، لعل مصدره أن المؤلفين يتأثران بلغة الصحف أكثر مما يتأثران بدقة الفن الذى يكتبان فيه .

الإسلام والمرأة للأستاذ سعيد الأفغانى (مطبعة الترقى بدمشق)

وهذا كتاب آخر هم أن يظهر منذ أعوام ولكن أحداث الدهر أضاعت نسخته قبل أن تقدم إلى المطبعة ، فاضطر الأستاذ المؤلف أن يعيد إنشاءه وأسدى بذلك إلى البحث العلمى وإلى الأدب يداً مشكورة حقا . فالكتاب قيم جليل النفع على صغر حجمه . وأكاد أقول إنه قيم جليل النفع لصغر حجمه ؛ فقراءته ميسورة يقدم عليها القارئ فى غير تردد ولا إشفاق . فإذا بدأ القراءة لم يدع

الكتاب حتى يتمه لأنه سمح فى تعبيره كما انه سمح فى تفكيره ، ليس فيه تكلف ولا تعمل ، وليس فيه هذا التحايل الذى يلجأ إليه كثير من المؤلفين حين يعرضون لمثل هذا الموضوع الجديد القديم الذى يتصل بالدين من جهة وبالحضارة الحديثة من جهة أخرى ، وإنما استقبل المؤلف موضوعه فى أناة مطمئنة وثقة راضية ، وسار فى عرضه سيراً رفيقاً سهلا فوفق منه إلى ما أراد . وقد أراد أن يعرض على المعاصرين حكم الإسلام فى المرأة ، ومقدار ما أسدى إليها من صنيعة ، ومقدار ما أتاح لها من حرية ، وما رفعها إليه من مكانة المساواة الصحيحة بينها وبين الرجل . ولم يرد أن يضيع وقته ووقت القارئ فى التماس الأدلة من هنا وهناك وعرض النصوص التى تقبل الأخذ والرد ، وإنما اعتمد على القرآن الكريم وما صح من الحديث الشريف . واستخلص من هذين المصدرين المطهرين حال المرأة المسلمة ، فإذا هى حال خير من حال المرأة فى كثير من الحضارات القديمة والحديثة ، وإذا هى حال ملائمة لما يطمح إليه الإنسان الكريم من استكمال الشخصية والكرامة فى هذا العصر الحديث . فللمرأة شخصيتها الكاملة ، ولها حقوقها المدنية والاجتماعية والاقتصادية كأحسن ماتطمع المرأة الحديثة فى هذه الحقوق . فإذا كانت هناك خصائص قد يَزْوَرُّ عنها التفكير الحديث فإنما هى أمور قضت بها ضرورة التطور ، وهى فى نفسها خليقة أن تلائم حاجة الناس إذا فكروا فأحسنوا فى التفكير .

فتعدد الزوجات مثلا حقيقة إنسانية لم يبرأ منها القدماء ولا المحدثون . وقد أحاطها الإسلام بقيود تلغيها إن عرف الانسان كيف يحترم هذه القيود . فالإسلام قد رسم المثل الأعلى ووضح السبل إليه ، ولكنه ترك للإنسان الفرصة التى تمكنه من أن يصفى طبعه ويهذب غريزته ويرقى بنفسه إلى حيث أراد الله لها من الطهر والكمال .

وأروع ما فى الكتاب أنه يصور الحياة الإسلامية كما صفى ما يصورها القرآن وكأرقى ماتصورها السنة النبويه ، فيصل بتصوره هذا إلى العقول والقلوب جميعاً .

ويوشك مؤلف الكتاب أن يكون قد توخى سيرة الجامعى الذى يقدم إلى الجامعة رسالة يريد أن ينال بها درجة الدكتوراه ؛ فهو يضع الموضوع بين يديه محدداً بين المعالم ، ثم يلتمس الوسائل إلى تحقيقه متحرياً الدقة ما استطاع إليها سبيلا حتى يبلغ ما يريد فى هذا الإيجاز البديع . ولو أن الأستاذ المؤلف كان

أكثر إلماماً بالحضارات الأجنبية قديمها وحديثها لتجنب بعض الخطأ اليسير أو بعض التعجل فى الحكم على أقل تقدير ، ولكنه اعتمد فيما يظهر على كتب لم تصدر عن تحقيق دقيق ، فتورط فى بعض الخطأ الذى لايغض من كتابه وإن كان يحسن ألا يتورط فيه . فما نعلم أن اليونان والرومان بعد أن تحضروا مثلا كانوا يقتلون نساءهم أو يبيعونهن . وما نعلم أنهم كانوا يذهبون فى تعدد الزوجات المذهب الذى صوره المؤلف فى حاشية من حواشيه نقلاً عن هذا المؤلف الهندى أو عن ذاك المؤلف الروسى .

س سير النبلاء جزء مخصوص بأبرز امرأة فى تاريخ الاسلام عائشة بنت أبى بكر الصديق ، لمؤرخ الاسلام الامام الحافظ الحجة شمس الدين الذهبي ، قدم له وضبطه وعلق عليه ناشره الاستاذ سعيد الافغانى (مطبعة الترقى بدمشق)

وكأن الأستاذ سعيد الأفغانى كان يتقدم لنيل الدكتوراه من السوربون فنشر كتاب الإسلام والمرأة على أنه الرسالة الأولى ، ثم نشر هذا الكتاب الثانى على أنه الرسالة الإضافية . وهذا الكتاب الثانى كما يظهر من عنوانه جزء من سير النبلاء للحافظ الذهبي نشره الأستاذ سعيد الأفغانى وضبطه وعلق عليه .

فالثناء عليه ثناء على مؤلفه الذهبي وعلى الذى أتاح لنا قراءته . وقد استنسخ الأستاذ هذا الجزء من نسخة مخطوطة فى مكتبة حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن حفظه الله .

وللأستاذ أمنية نشاركه فيها مخلصين ، وهى أن ينشر كتاب الذهبي كله ؛ فهو من أعظم الذخائر الإسلامية فى التاريخ والحديث . والأستاذ يتمنى أن يتفضل صاحب الجلالة الإمام أو صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود بإباحة هذا الكنز النفيس للمسلمين وللعلماء كافة . أما نحن فنتمنى أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الإمام فيأمر بإرسال هذا الكتاب القيم إلى مصر وتنهض دار الكتب المصرية بنشره فيما تنشر من كنوز الأدب العربى ، على أن يقوم على ضبطه وتصحيحه الأستاذ سعيد الأفغانى ، فقد أثبت بنشره لهذا الجزء وبالجزء الآخر الذى نشره عن ابن حزم أنه أقدر الناس ، على هذا الضبط والتصحيح .

ط حسين

فيصل بن الحسين أصدرته مديرية الدعاية العامة ببغداد (مطبعة الحكومة)

هذا كتاب عن فيصل بن الحسين الهاشمى ، أول ملوك العراق ومؤسس نهضتها الحديثة ورأس الأسرة المالكة فى العراق اليوم . . .

. . . وتاريخ فيصل بن الحسين هو فصلٌ بليغ من تاريخ ذلك الجهاد الدائب الذى بدأه العرب منذ أواسط القرن الماضى ، ليثبتوا به أن الأمة العربية التى اجتمعت لها كل أسباب المجد فى ماضيها العريق ، لم تزل أهلا لحمل تبعات المجد فى الحاضر وفيما يُستقبل من الأيام . . .

. . بل إن تاريخ فيصل بن الحسين هو كالمقدمة من ذلك التاريخ الكبير الذى سيخطه المستقبل بيمينه للأمة العربية التى لم تزل على سنن الجهاد الذى رسمه له فيصل الأول لاسترداد حقها فى الحرية واعتلاء مكانتها بين الأمم الجديرة بالحياة . وحَسْبُك من هذا التاريخ الكبير أن تكون مقدمته هى سيرة ذلك البطل العظيم : فيصل بن الحسين !

وإنه لمن دلائل التوفيق أن يصدر هذا الكتاب فى الوقت الذى اجتمعت فيه بلاد الجامعة العربية لتوكيد ميثاق مشترك يجمعها على أمل ويوحّد طرائقها إلى غاية ، ليكون صدوره فى هذه المناسبة تحية كريمة لروح ذلك الزعيم العربى الذى رفع صوته فى الشرق والغرب باسم الجامعة العربية قبل أن تكون الجامعة العربية . فلم يكن جهاده الدائب فى عمره القصير إلا النواة لهذه السرحة الفينانة ، ولم تكن سيرته منذ بدأ إلى حيث انتهى إلا إرهاصاً لهذا الحدث الجليل الذى يؤرخ به العرب اليوم حوادث الأيام فى تاريخ نهضتهم الموفقة بعون الله .

والحق أن تاريخ الملك فيصل الأول ليس تاريخ ملك من أصحاب العروش والتيجان ، ولا هو تاريخ زعيم من أصحاب المبادئ كان له يوما صوت وصيت ، ليس ذلك فحسب ، ولكنه تاريخ الأمة العربية كلها فى حقبة من الدهر خطت فيها أول خطاها إلى الحرية والاستقلال . وقد انتهت حياة فيصل بن الحسين وانطوى تاريخه على الأرض منذ اثنتى عشرة سنة ، ولكن أثره فى الذهنية العربية الحديثة لم يزل يملى على التاريخ ما يكتبه ولن يزال ؛ فهذا الذى نراه اليوم أو نسمعه من أنباء النهضة العربية ، هو رجْع الصدى البعيد لتلك الصيحة التى

أطلقها فيصل منذ ثلث قرن أو يزيد ، حين كانت الأمة العربية تحت وطأة الحكم العثمانى قد اعتقلت لسانها الأحداث فلا يُسمع لها إلا مثل صوت المختنق يلفظ آخر أنفاسه ؛ ولم يكن هناك من يهتف باسم العروبة إلا فيصل بن الحسين ، فى الأندية الخاصة ، وفى المحافل العامة ، وفى مجلس المبعوثان العثمانى باستانبول حيث كان فيصل العربى نائباً عن لواء جدة . . . . . وكان له إلى هذا الصوت الصريح جهادُه الصامت لإيقاظ روح العروبة ، استعداداً للوثبة التى يهيئ لها أسبابها حين يحين الأوان . وقد حان ذلك الأوان عندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى ، فرفع راية العروبة وقاد الكتائب العربية فى طريق النصر والحرية ، وخطّ بذلك الصفحة الأولى فى تاريخ الوحدة العربية . . .

ونحن هنا فى مصر قد لا يدرك الكثير منا — على الوجه الصحيح — ماذا كانت الدوافع الحقيقية التى دفعت الحسين بن على وأولاده إلى الوقوف فى صفوف البريطانيين ليحاربوا الدولة العلية ، فى الوقت الذى كانت فيه عواطف المصريين جميعاً نحو تركيا . ولعل كثيرا منا — فى ذلك الوقت — قد ساءهم أن ينتقض العرب على الأتراك فى أيام محنتهم فيكونوا من أسباب انهيار الإمبراطورية العثمانية . . . لعل كثيراً من المصريين قد ساءهم ذلك ، لأن البريطانيين فى تلك الأيام الخالية لم يكن موقفهم من المصريين بحيث يحمل أحداً فى مصر على الرضا عن مسلك بريطانيا أو الاطمئنان إلى ما تعد به ؛ فقد كان المصريون إذن — من سوء ظنهم بالإنجليز — فى موقف يدعو إلى الحذر والتربص وتمنى الأمانى من مطلع الشرق . فلما جاءتهم أنباء الثورة العربية ولم يكونوا على علم بأسبابها ودوافعها الوطنية ، ظنّوا ماظنوا ، ولم ينظروا إلى هذه الحركة على أنها أول جهاد العرب لحريتهم واستقلال بلادهم ، والتخلص من ذلك الكابوس العثمانى الذى يهدد العرب جميعاً بالفناء أو الاندماج فى الجنس التركى ، بل نظروا إلى تلك الحركة من حيث هى معاونة لبريطانيا التى اغتصبت حق المصريين فى الحرية والاستقلال وعاملتهم معاملة الأرقاء والعبيد . . . ثم لم يلبث أن انهتك حجاب الصبح ، فإذا العرب صفوف متراصة تحت رايتهم ، يقودهم إلى الأمل المنشود فيصل بن الحسين ملك سوريا الكبرى ، ثم ملك العراق الناهضة فيما بعد ، وإذا المصريون يعرفون لفيصل بن الحسين حقه من الإجلال والتكريم ! . . .

صحيح أن الإنجليز لم يفوا للعرب بما وعدوا ، ولا يزالون ، ولا يزال حلفاؤهم

الفرنسيون حتى اليوم يحاولون أن يجدوا تفسيراً لما وعدوا به العرب غير ما كان يفهمه العرب يوم وثبوا وثبتهم إلى جانب الحلفاء ؛ ولكن العرب على كل حال لم يكونوا على نية الغدر والخيانة ، وإنما كانوا يسعون لبلوغ مأملهم فى الاستقلال والحرية . فإذا كانوا لم يبلغوا حتى اليوم كل ما كانوا يأملونه ، فلا بد أن يبلغو يوما ما ، مادام معهم الإيمان والصبر كما كان يقول فيصل بن الحسين فى بعض حديثه . . .

* * *

ذلك هو فيصل الأول كما يصوره هذا الكتاب الذى بين يدى ، والذى أصدرته مديرية الدعاية العامة بالعراق منذ قريب ، تخليداً لذكرى فيصل واعترافاً بجميله على العرب . ولقد يقع فى وهم أحد ممن لم يقرءوا ذلك الكتاب أنه — قد أصدرته مديرية الدعاية الرسمية فى حكومة بغداد — كتلب من تلك الكتب (الرسمية) التى تصدرها الحكومات عن الملوك ورؤساء الدول : ليس فيه إلا (الصورة الرسمية) كما يراد أن يراها الناس ، لا كما هى فى رأى الناس ومرأى أعينهم . وقد كنت أنا أحسبه كذلك قبل أن آخذ فى قراءته ، فما كدت أتناوله من أولى صفحاته حتى رأيت شيئا غير ما كنت أنتظر ، فمضيت فى قراءته لم أقف إلا عند آخر صفحة منه ؛ ثم لم يزدنى ماقرأت فيه إلا يقيناً بأن فيصل بن الحسين — زعيم النهضة العربية الحديثة — كان رجلا مهما يبلغ الواصفون من وصفه فلن يبلغوا أدنى منازله من العظمة . . .

وقد جمع الكتاب إلى ما جمع من سيرة الملك فيصل الأول ، طائفة من خطبه وأحاديثه والوثائق الرسمية التى تتصل بتاريخ عصره ؛ فهو كتاب أدب ، وكتاب تاريخ . وهو إلى هذا وذلك سيرة بطل من أبطال العروبة يندر مثله بين طبقات الرجال !

ع .